أضراره النفسية والجسدية عميقة

العنف المدرسي يغتال براءة أطفالنا

تحقيق: أماني القلاف

في حادثة ليست الأولى من نوعها تقدم مجموعة من أولياء أمور إحدى المدارس الإبتدائية للبنات بشكوى من أحدى الطالبات بالمدرسة تقوم بالاعتداء على زميلاتها مخلفة لهنَّ أضرارًا نفسية وجسدية كبيرة، فهى دائمًا ما تقوم بعضهن في أماكن متفرقة من جسدهن! كما حاولت في إحدى المرات إشعال الحريق في زميلاتها من خلال إحضار ولاعة معها! ولا تتوقف إعتداءتها عند ذلك الحد، بل تحاول أن تقوم بدفعهن من أعلى الدرج هادفة إلى إسقاطهن وإيذاءهن! الأغرب في الأمر أنَّ شكاوي أولياء الأمور ومعاناتهم تتواصل دون أي إجراء يذكر من قبل إدارة المدرسة للحد من هذه الاعتداءات والانتهاكات. فمن المسئول في هذه الحالة؟ وكيف يمكن التعامل معها؟

يعرف العنف المدرسي بأنه أي فعل أو سلوك يقوم به أحد الطلاب في الإطار المدرسي بقصد إلحاق الضرر النفسي أو المادي أو الجسمي بأحد زملاءه أو بالأشخاص الموجودين في المدرسة من إداريين أو معلمين أو غيرهم إضافة إلى إتلاف ممتلكات المدرسة ومرافقها، فقد يكون هذا الإيذاء لفظيًا كاستخدام الألفاظ البذيئة أو العبارات النابية أو قد يكون جسديًا، كإلحاق الضرر الجسمي بالآخرين من خلال الضرب أو الركل أو غيرها من أشكال الاعتداء، أو قد يكون رمزيًا من خلال استخدام إشارات معينة أو إيماءات جسدية استفزازية القصد منها إهانة الطرف الآخر واحتقاره.

وهناك الكثير من الأسباب الكامنة وراء ذلك السلوك فالطالب حينما ينشأ في بيئة يسودها العنف والصراع فمن الطبيعي إن يكتسب هذا السلوك في حياته، كما أن الحرمان العاطفي الذي يعاني منه كثير من الأبناء يجعلهم فريسة سهلة لكثير من القوى المدمرة، فقد يدفعهم ذلك للعنف والعدوان رغبة منهم في التعبير عن مدى الفقد والحرمان الذي يشعرون به، فحينما ينشأ الطالب في بيئة متصدعة، تفتقد الجو الأسري السليم والاستراتيجيات الصحيحة في التربية يكون العنف نتيجة طبيعية لهذا الجو المشحون، كما أننا كثيرًا ما نسمع أن الإنسان ابن بيئته فالظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي يعاني منها الطالب لابد أن تنعكس بالسلب على سلوكه، فحينما ينشأ الطالب في أسرة فقيرة لا تستطيع أن تؤمن له أساسيات الحياة، قد يولد ذلك لديه شعورًا بالنقص والنبذ، لذا فالعنف قد يكون سلوكًا يشعر الطفل أنه لا مفر منه حتى يحصل على مبتغاه ويعزز شعوره بذاته.

إزاء هذه الظاهرة غير السوية تلح علينا مجموعة من الأسئلة المركبة والمعقدة؛ فما الذي يجعل العنف هو الأسلوب الأكثر شيوعًا في التعاملات داخل المدارس؟ ولماذا أصبحت هذه المشكلة من المشكلات المتفشية بين طلابنا؟ وهل فقدنا السيطرة على زمام الأمور؟ أم مازال بإمكاننا أن نقوم بكثير من الأدوار لإنقاذ الموقف؟

كل هذه الأسئلة وغيرها طرحتها (مجلة صوت الأهلية) في لقاءات مع بعض أولياء الأمور وأحد المرشدين الاجتماعيين لمعرفة انطباعاتهم وتجاربهم وأفكارهم حيال الأمر.

أولياء أمور:

العنف يجعل الأبناء في حالة نفسية سيئة ويرفضون الذهاب للمدرسة .

غض المدرسة الطرف عن عقاب العنف يجعل الأهالي يوجهون الأبناء لممارسة العنف المضاد.

حالة نفسية سيئة

بدايةً أشارت (أم يوسف)، ولية أمر طالبة بالمرحلة الابتدائية قائلة: تتعرض ابنتي للكثير من المضايقات من قبل بعض الطالبات والتعليقات؛ وذلك قد يثير أعصابها ويجعلها في حالة نفسية سيئة تجعلها ترفض الذهاب للمدرسة أو حل الواجبات، لكنني أنصحها بتمالك نفسها والتحلي بالصبر وإخبار المشرفة الاجتماعية بذلك، إلا إن المشرفات بالمدرسة لا يتخذن أي إجراءات تذكر حيال مشكلات الطالبات.

سلوكيات عدوانية

وفي لقاء آخر مع (أم بدر) وهي ولية أمر لطلاب في المرحلتين الابتدائية والإعدادية، أشارت إلى أن العنف منتشر في مدارس الأولاد، وذلك بحكم تجربتها مع أبنائها الثلاثة، فكثيرًا ما لاحظت الكثير من السلوكيات العدوانية التي تبدو على أبنائها بعد انتهاء الدوام المدرسي، حيث يتعرض الطلاب لبعضهم البعض بالإيذاء البدني واللفظي من خلال التلفظ بألفاظ بذيئة وعبارات نابية.

غياب الأهل

أما د. سامح رضا، أستاذ المحاسبة المشارك بالجامعة الأهلية، وولي أمر أحد الطلاب بأحد المدارس الدولية فيرى أن السبب الأساسي لتزايد العنف بالمدارس في الآونة الأخيرة هو انشغال الأهل عن تربية الأطفال وغياب التوجيه والقدوة، وعدم قيام الأب و الأم بتوجيه الأبناء، ما يجعل الطفل يقع فريسة لمشاهدة أفلام الكارتون والألعاب الإلكترونية المليئة بالعنف؛ مما يجعل الطفل يكتسب سلوكًا عدوانيًا ويجعله حاد الطباع، غير سوي التفكير على نحو ما، ويلجأ إلى تفريغ هذه الطاقة العنيفة مع أقرانه بالمدرسة.

ويكمل د. سامح رضا: ومع تزايد السلوك العنيف في المدرسة وغض الطرف عن عقاب من يمارسونه رغم

د. سامح رضا

شكوى أولياء الأمور يلجأ بعض الأهالي للأسف الشديد إلى توجيه أبناءهم لممارسة العنف المضاد ضد من يمارسون العنف تجاه أبنائهم.

غياب دور المعلم

يرجع د. عبد المطلب السرطاوي الأستاذ المساعد بالجامعة الأهلية وولي أمر أحد الطالبات السلوك العنيف بالمدارس من وجهة نظره إلى محور آخر غائب عن ناظري الكثيرين وهو غياب دور المعلم أو ضعف سلطته أمام تنامي سلطة الأهل وتحول دور المدرس للأسف إلى مجرد أداة من أدوات العملية التعليمية بدلا من أن يكون أحد محاورها المركزية.

يضاف إلى ذلك في رأي السرطاوي انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية وانشغال الأطفال بمتابعتها والإرتباط بها بكل ما تعرضه من مواد جيدة ورديئة ولأوقات تصل إلى ساعات، خاصة مع تسارع

وتيرة الحياة وانشغال الأب والأم عن الجلوس والحديث إلى أبنائهم.

والتعرض لهذه المواد الاتصالية الرقمية يوقف الطفل عن الحركة التي كانت تفرغ طاقة العنف الموجود بداخله ويزيد الأمر سوءًا عدم توفير الوقت الكافي للأطفال لممارسة الألعاب البدنية وانحسار الأوقات المخصصة للرياضة مقابل زيادة الوقت المخصص للألعاب الإلكترونية حيث ينتج عن ذلك زيادة الضغوط النفسية على الأطفال.

ويقترح د. عبد المطلب تخصيص وقت أسبوعي بما لا يقل عن حصتين أسبوعيًا للإرشاد النفسي للطالب والإهتمام من جانب المدرسة وأولياء الأمور بتنمية الطالب ذهنيا ورياضيًا وتنمية الألعاب الجماعية التي تنمي حاسة التعاون بدلا من الألعاب التي تعلي من قيمة الأنا والمنافسة الحادة والعنف مع الآخر كلعبة الكراسي الموسيقية التي تمارس في بعض المدارس.

وأجرت (صوت الأهلية) لقاءً مع حسين يوسف العويناتي، الأخصائي والمرشد الاجتماعي بمدرسة مدينة عيسى الثانوية للبنين، وأحد من يحتكون عن قرب بظاهرة العنف المدرسي ويعرف أسبابها وكيفية التعامل معها والحد من الآثار المترتبة عليها.

جسدي ولفظي

وفي بداية حديثه يقول العويناتي: العنف المدرسي هو عبارة عن أي فعل أو قول يقوم به الطالب تجاه الغير بالضرب أو باللفظ ويكون هذا الفعل مؤذيًا جسديًا ونفسيًا. وكما يتضح فإنَّ هذا المفهوم ينقسم بطبيعة الحال إلى نوعين أو شكلين أساسيين من العنف، العنف الجسدي، والعنف اللفظي.

ويتجسد العنف الجسدي في الاعتداء المباشر على جسم الغير، ويتسبب في حدوث آثار على الجسد كالكدمات والحروق والجروح وأخطرها الكسور، وفي بعض الأحيان قد تؤدي إلى الوفاة.

أما العنف اللفظي فيتجسد في التلفظ بألفاظ خادشة للحياء تسيء للطالب، وقد يتخذ هذا النوع من العنف شكل تهديد مباشر وقد يتسبب في إحداث ألم نفسي قد يُدخل الطرف الآخر في حالة من البكاء والخوف الشديد.

للعنف أسباب

وسألناه.. لكل ظاهرة في المجتمع مجموعة أسباب تقف وراءها، فهل من الممكن أن تحدثنا عن أهم الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى ظهور مشكلة (العنف المدرسي) وتحولها إلى ظاهرة أحيانا؟

يجيب حسين يوسف العويناتي قائلًا: تتعدد الأسباب التي تقف وراء هذه الظاهرة، وتختلف من بيئة مدرسية إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، فمن بين تلك الأسباب مجموعة أسباب ذاتية تتعلق بالتنشئة الاجتماعية للطفل، وهي أسباب مكتسبة من الأسرة وينقلها الطالب للمدرسة ويفرضها على زملائه.

هناك أيضًا مجموعة أسباب تتعلق بالجو المدرسي أو بالبيئة المدرسية بشكل عام تتصدرها الأسباب الناتجة عن عدم فرض النظام داخل المدرسة، ما يجعل الطالب يشعر أنه بمأمن من العقوبة إذا ما فعل أو ارتكب سلوكًا مخلًا أو قام بالاعتداء على الغير.

بالإضافة إلى ذلك هناك بعض الأسباب المتعلقة بالزملاء الذين قد يكتسب الطالب منهم بعض السلوكيات السيئة، والقدوة غير السليمة، حيث يقوم الطالب بتقليد غيره في مشكلة العنف كنوع من فرض الشخصية، محاولاً الظهور والبروز أمام أصدقائه.

الآثار المترتبة

أما فيما يتعلق بأبرز الآثار المترتبة على مشكلة (العنف المدرسي) يشير العويناتي إلى جملة من تلك الآثار تتصدرها الآثار النفسية التي تتمثل في الخوف وعدم حب المدرسة وعدم وجود رغبة في الذهاب إليها، إضافة إلى تجنب الاختلاط والشعور بالعزلة والانطواء.

كذلك تنعكس آثارها على الجوانب ذات الصلة بالتحصيل الدراسي حيث يؤدي العنف المدرسي إلى تأخر الطالب في تحصيل الدروس وعدم مواظبته على استذكارها أو حل واجباته المدرسية وعدم تكيفه مع البيئة المدرسية.

قضلاً عن ذلك هناك آثار مادية تتجسد في تعطيل التعليم داخل المؤسسة التربوية وهو ما يمثل هدرًا للأموال العامة وتعطيلاً لمصلحة الغير، كما قد يحدث إتلاف للممتلكات العامة في الإطار المدرسي أثناء العراك والعنف يؤدي إلى أضرار مادية.

إجراءات وقائية

جلسات إرشادية

وحول أهم الإجراءات الوقائية التي يمكن أن نعتمدها كمربين ومتخصصين في هذا المجال للحد من هذه الظاهرة، والسيطرة على آثارها يرى العويناتي أن تلك الإجراءات الوقائية تتمثل في الحماية و الوقاية على مستويين، الأول هو الأسرة، وذلك من خلال غرس قيم التسامح والإحترام بين الجميع والتغاضي في بعض المواقف تجنبًا لإثارة المشاكل.

أما المستوى الثاني فيتمثل في المدرسة، ويكون الدور الأساسي للمدرسة هو تكثيف البرامج الإرشادية والوقائية والتنموية التي تهدف إلى النهوض بالسلوكيات والقيم المرغوبة لدى الطلاب، وغرس مبدأ التسامح والمحبة بين جميع الطلاب من خلال جميع الأطراف الموجودة في المدرسة .

وبصفتك أخصائي ومرشد اجتماعي كيف تتعامل مع حالات العنف المدرسي التي ترد إلى مكتبك؟

يجيب: التعامل مع هذه الحالات من الجانب التخصصي يتمثل في ضرورة قيام المرشد الاجتماعي بحصر المشكلات المسببة للعنف المدرسي، وتحديدها، ثم وضع خطة إجرائية للحد منها، وعلاج ما هو موجود منها بالجلسات الإرشادية والبرامج التنموية والوقائية .

السؤال الذي يطرح نفسه هنا بما إننا نعرف إن العنف المدرسي يشكل مشكلة كبيرة، وأي مشكلة لابد أن تخلف وراءها الكثير من الأضرار النفسية والجسدية والمادية يا ترى ما هى الأضرار التي يخلفها العنف المدرسي على نفسية الطفل تحديدا؟

نظرا لتعدد أنواع العنف واختلاف أشكاله لذا فمن الطبيعي أن يخلف وراءه آثاراً مختلفة منها الآثار النفسية والمتمثلة في ضعف الثقة بالنفس للشخص المعتدى عليه واهتزاز شخصيته واضطرابها، وقد يسلك منحى انعزالي محاولاً تجنب المحيطين به والتواصل معهم، وقد تصل في بعض الأحيان لخلق ميول انتحارية لدى الشخص المعنف .

أما فيما يتعلق بالآثار السلوكية فمن الطبيعي أن يرفض الطالب الذهاب إلى المدرسة أو حل الواجبات المدرسية، وقد يخلق لديه أيضا حالة من التبول الإرادي .

وفيما يتعلق بالأضرار الجسدية قد يخلف العنف آثار جسدية وإصابات أو جروح أو كسور وفي بعض الحالات قد يبلغ العنف أشده بحيث يودي بحياة الشخص المعنف .

لكننا إذا نظرنا لهذا المشكلة واعترفنا بوجودها لا بد لنا أن نتعرف على الطرق الوقائية التي من شأنها أن تخفف من وطأتها أو تسهم في الحيلولة دون تفشيها، فما هي يا ترى تلك الطرق ؟

إن مشكلة العنف كغيرها من المشاكل الاجتماعية التي من الممكن أن نقي أبنائنا منها وذلك من خلال دراسة أسبابها، من ثم محاولة معالجة تلك الأسباب أو منع حدوثها حتى نضمن سلامة أبنائنا، إذ يقع على عاتقنا كمربين ومعلمين مسؤولية توضيح النظام المدرسي بحذافيره حتى يكون الطالب على بينة بالأنظمة والقوانين والجزاءات المترتبة على خرق تلك الأنظمة حتى يكون أكثر حذرا في تصرفاته وسلوكه ، إن عملية التنشئة هي مسؤولية مشتركة بين البيت والمدرسة على حد سواء لذا لا بد أن تكون حلقة الوصل قوية بين الاثنين ، والعملية التربوية كما هو معروف ليست بالأمر الهين كما يظن كثير من الناس بالفعل فالتربية تحتاج إلى دراسة وصبر فالأجيال تختلف ومتطلبات الحياة كذلك لذا فإن الأساليب التي استخدمها أباؤنا في الماضي قد لا تتناسب مع أبنائنا اليوم لذا نجد أننا يجب

أن نستخدم أساليب تربوية مقننة تتناسب مع أبنائنا وتفكيرهم وخصائصهم الشخصية والبعد كل البعد عن الأساليب التربوية الخاطئة التي قد تفسد أبناءنا كالحماية الزائدة أو التدليل الزائد أو النمذجة الخاطئة، كما ينبغي على المعلمين والمرشدين الاجتماعيين أن يكونوا أكثر حرصاً على تقديم الدورات الإرشادية والتوجيهية للطلاب وتعزيز روح التعاون بينهم وتوثيق أواصر المحبة ونبذ أشكال العنصرية والتفرقة واحترام الطرف الآخر .

كيف لنا أن نعالج مشكلة العنف المدرسي؟ وما هي أفضل الحلول والعلاجات المقترحة لتلك المشكلة؟

لابد لكل مربي أن يحرص على إتباع أساليب تربوية صحيحة فاللجوء إلى العقاب السلبي قد يجدي نفعا في بعض الحالات وهنا نقصد به حرمان الشخص المعتدي من أمور يحبها ويفضلها كطعام معين أو نشاط معين أو زيارة لمكان يفضله ،وفي بعض الحالات يمكننا أن نحاول أن نعزز السلوكيات الايجابية والسليمة التي قد تبدر من الشخص المعتدي حتى نتمكن من جعلها تسيطر عليه وتطغى على الجانب السلبي في سلوكه ، التصحيح والاصلاح من الأساليب التربوية التي قد يلجأ إليها الكثير من المربين والمعلمين ونعني به هنا أن يقوم الشخص المعتدي بإصلاح ما اقترفه كأن يعيد ترتيب الفوضى التي أحدثها في المكان الذي أتلفه أو الاعتذار للأشخاص الذين قام بالاعتداء عليهم ، قد يكون سلوك العدوان نابعاً من ضعف الثقة لدى الطلاب لذا نجب أن نحرص على تنمية تلك الثقة والمحافظة عليها وزرع روح المسؤولية لدى الطلاب من خلال تكليفهم بمهام معينة تعزز ذلك الشعور لديهم أو إعطاءهم مهام قيادية معينة تجعلهم أكثر ثقة.

وختاماً يمكننا القول إن أبنائنا أمانة في أعناقنا فهي الهبة التي وهبنا إياها الباري لذا يجب أن نحيطهم بجوٍ من المحبة والألفة جوٍ يسوده الحب والاحترام ونحرص كل الحرص على تقوية الوازع الديني لديهم فهو الدرع الحصين الذي قد يحول دون وقوعهم في المشاكل فديننا الحنيف قد زرع لدينا الكثير من القيم التي لو أخذناها كموجه لنا في حياتنا لحالت دون وقوعنا في كثيرٍ من المتاعب فالإسلام هو دين الرحمة والمودة ودين المحبة والإخاء يبني لدينا مشاعر التواضع والاحترام لمختلف الطوائف والأعراق وتقبلهم وعدم المساس بهم أو التعدي عليهم .

العويناتي:

عدم فرض النظام داخل المدرسة يُشعر الطالب أنه بمأمن من العقوبة .

- العنف يؤدي إلى تجنب الاختلاط والشعور بالعزلة والانطواء.
- أحيانًا يشعر الطفل أن العنف لا مفر منه للحصول على مبتغاه والإحساس بالذات .
- العنف اللفظي يُحدث ألمًا نفسيًا للطالب ويدفعة للخوف والبكاء.